حقيقة الخشية في القرآن الكريم

م.م. مشرق صباح كاظم العبد
جامعة الامام جعفر الصادق فرع ذي قار
Mushriqsabah1991@gmail.com

الملخص:

الحمد الله المرجو لطفه وثوابه، المخوف مكره وعقابه، والصلاة والسلام على محمد سيد انبيائه وخير خليقته وعلى اله واصحابه أجمعين.ولما كان كتاب الله تعالى لم يترك شيء فيه صلاح الإنسان إلا وتطرق اليه وكان أئمة اهل البيت عليهم السلام هم المطبق الأفضل لما جاء فيه من تشريعات وأخلاقيات وغيرها جاء هذا البحث بعنوان. (حقيقة الخشية في القرآن الكريم)

وقد جاء هذا البحث على ثلاثة فصول مشتملة على مباحث:

إذ تكفل الفصل الأول تعريف الخشية في اللغة و تعريف الخشية في الإصطلاح. موارد الخشية في القرآن الكريم.

أما الفصل الثاني فقد بين نظائر الخشية في القرآن الكريم وجمعت فيه ثمانية نظائر وهي: الخوف و الفزع و الرعب و الرهبة و الوجل و التوجس و الهلع و الحذر.

أما الفصل الثالث والذي حمل عنوان حقيقة الخشية، معناها وشروطها وفضائلها وثمارها وصفات المتقين والذي تشكل من خمسة مباحث وهي: معنى الخشية حقيقة الخشية، فضل الخشية، مظاهر الخشية، ثمار الخشية، صفات المتقين.

وتكمن أهمية الموضوع لأنه يتطرق لبيان أهمية الخشية لأنها اهم الموضوعات التي يحتاج إليها الإنسان ليكون عبداً مقبولاً عند ربه و مقربا إليه كما يعتبر حقيقة الخشية في القرآن الكريم من خلال استقصاء الآيات المباركة الواردة في القرآن الكريم بخصوص الخشية، و من ثم معرفة التطبيقات و التجليات لهذه الحقيقة في حياة الإمام الكاظم عليهالسلام.

الكلمات المفتاحية: (الحقيقة، الخشية، القرآن الكريم)

The reality of fear in the Holy Quran

mashriq sabah kazim aleabd
Imam Jaafar Al-Sadiq University, Dhi Qar Branch

Abstract:

Praise be to God, hoped for his kindness and reward, fearful is his compulsion and punishment, and prayers and peace be upon Muhammad, the master of his prophets and the best of his creation, and upon his family and all his companions. Legislation, ethics and others This research came under the title. (The reality of fear in the Holy Quran(

This research was divided into three chapters, including:

The first chapter ensures the definition of fear in language and the definition of fear in terminology. Fear resources in the Holy Qur'an.

As for the second chapter, it shows the analogies of fear in the Noble Qur'an, and in it eight analogies are collected: fear, dread, dread, dread, dread, apprehension, panic and caution.

As for the third chapter, which was titled The Reality of Fear, its Meaning, Conditions, Virtues, Fruits, and Attributes of the Pious, which consists of five sections: the meaning of fear, the reality of fear, the virtue of fear, the manifestations of fear, the fruits of fear, and the characteristics of the righteous.

The importance of the topic lies in that it deals with the statement of the importance of fear because it is the most important topics that a person needs to be a slave acceptable to his Lord and close to him. The truth in the life of Imam al-Kadhim, peace be upon him.

Keywords: (truth, fear, the Noble Qur'an)

التمهيد:

الخشية من الله سبحانه وتعالى علامة من علامات الصالحين، ومنزلة عليا سلكها أنبياء الله ورسله والملائكة وصالح المؤمنون، فهي الدليل على أن الفرد المؤمن قد وصل الى مرتبة عليا من مراتب العبادة والقرب الآلهي، لأن الخشية منه سبحانه تعني أن، الفرد قد قدر الله حق قدره، وهي أعظم دليل على الأيمان الصادق والعبودية

الخالصة، قال تعالى يصف المؤمنين: {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ} الطور٢٥-٢٦، فالآيات تبين أن سبب نجاتهم في الآخرة وما هم فيه من النعيم هو بسبب حوفهم وإشفاقهم وخشيتهم من الله سبحانه في هذه النشأة.

تعتبر الخشية من الله الخوف منه سبحانه من أبرز صفات عباد الله المكرمون فقد وصف الله ملائكته بصفة الخوف قال تعالى: {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} النحل :٤٧، فإذا كان هذا حال الملائكة وهم الذين وصفهم الله بقوله: {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}التحريم :٦ ، فكيف بالإنسان الذي ما انفك يعمل المعاصي والزلات، ويصر على الخطايا والسيئات، أليس من الأولى أن يخشى هو ربه؟ هذا حال الملائكة في خوفهم من ربهم.

وهذا رسول الله(صلىالله عليه وآله) هو خير البشر وخاتم الأنبياء وقد كان من خوفه من ربه وخشيته وإشفاقه منه دائم العبادة والإستغفار حتى أن الله سبحانه أشفق عليه أن يهلك نفسه من كثرة العبادة فقال: {طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى} طه:١-٤، هذا حاله صلوات ربي عليه وهو الشفيع المشفع، فقد كان أشد الناس خوفاً ووجلاً من الله سبحانه فقد ورد عن الصادق عليه السلام: "كان رسول الله(صلىالله عليه وآله وسلم) لا يقوم من مجلس وإن خف حتى يستغفر الله خمسا وعشرين " [١].

أما عباد الله الذين عرفوا الله حق معرفته فقد وصفهم: {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ *فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *} السجدة١٥:-١٧، أنظر كيف جازاهم الله على خوفهم وخشيتهم، نسأل الله أن يجعلنا من المشفقين الخائفين منه.

ولأهمية الخشية سنسلط الضوء ف هذا البحث على معناها ومواردها في القرآن والسنة.

أولاً:

الخَشْيَةُ في اللغة: الخوف، و الفعل: خَشِيَ يَخْشَى [٢].

الخاء و الشين و الحرف المعتل يدلُّ على خَوف و ذُعْر، فالخَشَية الخَوْف، و رجلٌ خَشْيَانُ، و خاشَانِي فلانٌ فخشَيْتُه، أي: كنتُ أشدَّ خَشْيةً منه [٣].

وللخشية نظائر كثيرة منها: (التقوى، الإحتراس، التوجس، الإتقاء، الحذر، الخوف، الرهبة، الوجل) وغيرها كثير.

وهذه الألفاظ قد تكون مترادفة ولكن بينها بعض النكات اللطيفة فمثلاً أن الخوف والخشية وإن كانا في اللغة بمعنى واحد إلا أن بين خوف الله وخشيته وفي عرف أرباب القلوب فرقا وهو أن الخوف تألم النفس من العقاب المتوقع بسبب ارتكاب المنهيات، والتقصير في الطاعات وهو يحصل لأكثر الخلق وإن كانت مراتبه متفاوتة جدا، والمرتبة العليا منه لا تحصل إلا للقليل

والخشية: حالة تحصل عند الشعور بعظمة الخالق وهيبته وخوف الحجب عنه، وهذه حالة لا تحصل إلا لمن اطلع على حال الكبرياء وذاق لذة القرب، ولذا قال تعالى: " إنما يخشى الله من عباده العلماء " [٤].

وذكر المفسرون اختلافات أخرى منها ما ذكره الآلوسي: " الخشية أشد الخوف لأنها مأخوذة من قولهم: شجرة خشية أي يابسة ولذا خصت بالرب في هذه الآية، وفرق بينهما أيضاً بأن الخشية تكون من عظم المخشي وإن كان الخاشي قوياً والخوف من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمراً يسيراً، يدل على ذلك أن تقاليب الخاء والشين والياء تدل على الغفلة وفيه تدبر، والحق أن مثل هذه الفروق أغلبي لا كلي وضعي ولذا لم يفرق كثير بينهما " [٥].

والفرق بين الخشية والرهبة: أن الرهبة وصف عمل القلب عند حصول الخوف، وفيها معنى الهيبة والإجلال [٦].

والوجل: هو رجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته [٧].

ثانياً:

الخشية: خوف يشوبه تعظيم، و أكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، و لذلك خصّ العلماء بها في قوله: إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ [٨].

الخشية من خشى، و خشى الأصل الواحد في هذه المادّة: هو المراقبة و الوقاية مع الخوف، بأن يراقب أعماله و يتّقى نفسه مع الخوف و الملاحظة [٩]، كما في قوله تعالى: {إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها} النازعات:٤٥.

والخشية من الله تعالى فضلها عظيم ومكانتها عالية وسامقة , فقد وصف الله بها عبادة المؤمنين الصالحين فقال: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} فاطر:١٨، وقال: {إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ

رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ *أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ *} المؤمنون٥٧-٦١.

فثمارَ هذه الخشية بيِّنة، و آثارها ظاهرة يمكن تلخيصها في الاتي:

١. الهداية والصلاح: قال تعالى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} التوبة :١٨.

٢. الفوز والفلاح: قال تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} النور:٥٢.

٣. المغفرة والأجر الكبير: قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} الملك:١١.

٤. دخول الجنة والنجاة من النار: قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ *} البينة ٧-٨. وقال سبحانه: {مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ *ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ *}ق:٣٣-٣٥.

١. الخشية في اللغة

خشي: الخَشْيَةُ: الخوف، والفعل: خَشِيَ يَخْشَى. ويقال: وهذا المكان أَخْشَى من ذاك، قال العجَاج: قطعت أَخْشاهُ إذا ما احْجَبا. أي: أفزعه [١٠].

وقال ابن‌فارس: " الخاء و الشين و الحرف المعتل يدلُّ على خَوف و ذُعْر، ثم يحمل عليه المجاز. فالخَشَية الخَوْف، و رجلٌ خَشْيَانُ، و خاشَانِي فلانٌ فخشَيْتُه، أي: كنتُ أشدَّ خَشْيةً منه، والمجاز قولهم خَشِيت بمعنى عَلِمت [١١].

وقال الصاحب‌بن‌عباد: " الخَشْيَةُ: الخَوْف، خَشِيَ يَخْشى خَشْيَةً وخَشْياً وخِشْياناً ومَخْشَاةً. وهذا المكانُ أخْشى من ذاك. وامْرَأةٌ خَشْيَانَةٌ: تَخشى كُلَّ شَيْءٍ. وما حَمَلْتُه على ذاك إلا خِشْيَ فلانٍ: أي مَخافَتَه، بكَسْرِ الخاء. ومَثَلٌ: قد كُنْتُ وما أخَشّى بالذِّئْب. وخاشى بهم: اتَّقى عليهم وحَذِرَ. وخاشَيْتُ فلاناً: تارَكْته " [١٢].

وقوله عز وجل: (فخشينا أن يُرهقهما طُغيانا وكفرا). قال الفراء: معنى " فخشينا "، أي: فعلمناه. وقال الزجاج: فخشينا، من كلام الخضر، ولا يجوز أن يكون " فخشينا " عن الله، والدليل على ذلك قوله: (فأردنا أن يُبدلهما ربهما).

وقد يجوز أن يكون " فخشينا " عن الله عز وجل، لأن الخشية من الله معناها: الكراهة، ومن الآدميين: الخوف، ويكون قوله حينئذ " فاردنا " بمعنى: أراد الله.

وحكى ابن‌الأعرابيّ: فعلت ذاك خَشأةَ أن يكون كذا، وانشد:

فتَعدَّيتُ خَشأةً أن يرى ظالمٌ أني كما كان زَعمْ

وما حمله على ذلك إلا خِشى فلان. وجكى عن الرُّؤاسيّ: إلا خِشى فلان.

وخشّأه بالأَمر: خوّفه، وفي المثل: لقد كنت وما أخَشَّى بالذئب.

وخاشاني، فخَشيْتُه: كنت اشدَّ منه خشية.

وهذا المكان أخشى من هذا، أي اخوف، جاء فيه التعجب من المفعول، وهذا نادر. وقد حكى سيبويه منه أشياء.

والخَشِيّ: اليابسُ من النبت، وانشد ابن الأعرابيّ:

كأن صوت شَخبها إذا خَمَى صوتُ أفاعٍ في خَشِيٍّ أعْشما

ويُروى: في حُشيّ، وهو ما فسد أصله وعَفن " [١٣].

وذكر الجوهري معنى آخر لهذه المادة وهو " اليابس " يقول: " والخَشيُّ، مثل الخَشني، وهو اليابس. والخَشْوَ: الخَشْفَ من التمر. يقال: خَشَتِ النخلة تَخْشُو، إذا أحشفتْ " [١٤].

والظاهر أن المعنى الحقيقي للخشية يدور حول معنى الخوف وهو المعنى الذي ذكره أهل اللغة ولا يتعداه الى غيره فأن قلت فما معنى قول الله سبحانه: {فَخَشينا أن يُرهِقَهما طُغياناً وكُفراً} الكهف:٨٠، فنقول إما أن يكون المراد منها المعنى المجازي وهو علمنا كما علمت سابقاً من معاني الخشية أو معناها كرهنا [١٥]

٢. الخشية في الإصطلاح

ذُكرت تعاريف كثيرة للخشية فقد عرفها الراغب الأصفهاني: " الخشية: خوف يشوبه تعظيم، و أكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، و لذلك خصّ العلماء بها في قوله: {إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ} فاطر:٢٨.

وعرفها الجرجاني: " تألم القلب بسبب توقع مكروه في المستقبل، يكون تارة بكثرة الجناية من العبد، وتارة بمعرفة جلال الله وهيبته. وخشية الأنبياء من هذا القبيل " [١٦].

وأما الطريحي فعرفها: " و الخشية: الخوف. يقال: خشي الرجل يخشى خشية أي خاف، و رجل خشيان و امرأة خشياء. و الخشية: الكراهة " [١٧].

وفي المعجم الفلسفي جاء تعريفها " قلق يصيب الإنسان عند توقعه خطراً أو مكروهاً في المستقبل " [١٨].

ويعرفها أبو هلال العسكري: " والخشية: حالة تحصل عند الشعور بعظمة الخالق وهيبته وخوف الحجب عنه، وهذه حالة لا تحصل إلا لمن اطلع على حال الكبرياء وذاق لذة القرب، ولذا قال تعالى: " إنما يخشى الله من عباده العلماء " فاطر:٣٥، فالخشية: خوف خاص، وقد يطلقون عليها الخوف [١٩].

ويعرفها العلامة المصطفوي بقوله: " إن الأصل الواحد لهذه المادة: هو المراقبة والوقاية مع الخوف بأن يراقب أعماله ويتقي نفسه مع الخوف والملاحظة. ويقابل هذا المعنى: الإهمال والتغافل وعدم المبالاة وترك الإهتمام والملاحظة وعدم صيانة النفس من الخلاف " [٢٠].

النتيجة: من خلال ما ذكره أهل اللغة من تعريفات للخشية والتعريفات الإصطلاحية السابقة يتبين أنها تعني الخوف والتألم والقلق من وقوع خطر في المستقبل يؤدي به الى الهلاك، والملاحظة والمراقبة والإتقاء مع الخوف فإذا ما اجتمعت كل هذه الأمور يحصل الخشوع، ومن معانيها أيضاً النبات اليابس.

٣. موارد الخشية في القرآن الكريم

وردت لفظة الخشية في القرآن الكريم ثمانية وأربعين مرة في مواضع متعددة ونحن هنا نذكر منها تسعة وثلاثون بحسب ترتيبها في المصحف الشريف مع الإشارة الى بعض أقوال المفسرين فيها:

الأول: قال تعالى: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} البقرة:٧٤يقول الله لبني إسرائيل {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ} أي: اشتدت وغلظت، فلم تؤثر فيها الموعظة، {مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} أي: من بعد ما أنعم عليكم بالنعم العظيمة وأراكم الآيات، ولم يكن ينبغي أن تقسو قلوبكم، لأن ما شاهدتم، مما يوجب رقة القلب وانقياده، ثم وصف قسوتها بأنها {كَالْحِجَارَةِ} التي هي أشد قسوة من الحديد، لأن الحديد والرصاص إذا أذيب في النار، ذاب بخلاف الأحجار[٢١].

وقوله: {أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} أي: إنها لا تقصر عن قساوة الأحجار، وليست "أو "بمعنى "بل "ثم ذكر فضيلة الأحجار على قلوبهم، فقال: {وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} فبهذه الأمور فضلت قلوبكم [٢٢].

وإنَّما عنى بهذه القسوة تركهم الإيمان بمحمَّدٍ(صلىالله عليه وآله) وسلم بعد ما عرفوا صدقه، وقدرةَ الله تعالى على عقابهم بتكذيبهم إيَّاه [٢٣].

الثاني: {وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ

أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} النساء:٢٦.

أي فمن لم يستطع منكم أن ينكح الحرائر سواء بعدم القدرة أو عدم الغنى فليتزوج مما ملكت أيمانكم يعني جارية غيره أو مملوكاتكم المؤمنات واعملوا على ظاهر الإيمان فإنكم متعبدون بالظاهر {بعضكم من بعض} أي: دينكم واحد فأنتم متساوون من هذه الجهة، فمتى وقع لأحدكم الضرورة جاز له تزوج الأمة، فاخطبوهن من ساداتهن واعطوهن مهورهن من غير ضرار تزوجوهن عفائف غير زوان سراً ولا علانية، ثم يبين حكم آخر وهو إذا تزوجن فإن زنين فعليهن نصف ما على المحصنات الأبكار الحرائر ثم يبين الله سبب هذا النكاح بقوله: {ذلك لمن خشي العنت منكم} أي: خاف أن تحمله شدة الغلمة على الزنا، فيلقى العنت، أَي: الحد في الدنيا، والعذاب في الآخرة [٢٤].

الثالث: قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} المائد:٤٤.

إنا أنزلنا التوراة على موسى يهدي إلى الإيمان والحق، ونور يستضاء به في ظلم الجهل والحيرة والشكوك، والشبهات والشهوات، ليرجع اليها اليهود في القضايا والفتاوى فيحكم بها النبيون الذين اسلموا لله وانقادوا لأوامره، الذين إسلامهم أعظم من إسلام غيرهم، وهم صفوة الله من العباد.: وكذلك يحكم بالتوراة للذين هادوا أئمة الدين من

الربانيين، أي: العلماء العاملين المعلمين الذين يربون الناس بأحسن تربية، ويسلكون معهم مسلك الأنبياء المشفقين.

الفصل الثاني:

نظائر الخشية في القرآن الكريم

تمهيد

يعد علم الوجوه والنظائر من العلوم الهامة في اللغة العربية ويراد بالوجوه: " اللفظ المشترك الذي يستعمل في معان عدة " [٢٥].

والنظائر: كألفاظ المتواطئة. وقيل النظائر في اللفظ، والوجوه في المعاني. وضعف لأنه لو أريد هذا لكان الجمع في الألفاظ المشتركة، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة، فيجعلون الوجوه نوعاً لأقسام، والنظائر نوعاً لآخر [٢٦].

وقد اختلف العلماء هل في القرآن نظائر فذهب البعض الى وجودها في القرآن أما المعاصرون فأغلبهم ذهب الى عدم وجود النظائر والترادف في القرآن الكريم بل لكل كلمة معنى تؤديه ولا يؤديه غيرها [٢٧].

وعلى كل الأحول فنحن في هذا الفصل سندرس بعض نظائر الخشية ونشير الى الفروق بين الخشية وبين كل واحد من نظائرها وعلى للاتي:

١. الخوف

الخوف لغة

الخاء والواو والفاء أصلٌ واحد يدلُّ على الذُّعْرِ والفزَع. يقال خِفْتُ الشّيءَ خوفاً وخِيفةً. والياء مبدَلةٌ من واو لمكان الكسرة. ويقال خاوَفَني فلانٌ فخُفْتُه، أي كنتُ أشدَّ خوفاً منه[٢٨].

قال الخليل: " وصار الواو في يخاف ألِفاً لأنه على بناء عَمِلَ يَعْمَل فألقوا الواو استثقالاً. وفيها ثلاثة أشياء: الحرف والصرف والصوتُ. وربما ألقوا الحرف وأبقوا الصرف والصوت، وربما أقوا الحرف بصرفها وأبقوا الصوت، فقالوا: يَخافُ، وأصله يَخْوَفُ، فألقوا الواو واعتمدوا الصوت على صرف الواو.

وقالوا: خافَ، وحَدُّه خَوِفَ، فألقوا الواو بصرفها وأبقوا الصوت، واعتمدوا الصوت على فتحة الخاء فصار منها ألفاً لينةً، وكذلك نحو ذلك فافهم. ومنه التَّخويف الإخافة والتَّخَوُّف. والنعت: خائف وهو الفرع، وتقول: طريقٌ مَخُوفٌ يخافُه الناس، ومُخيفٌ يُخيفُ الناس [٢٩].

وأصل الكلمة " خِوفة " وتجمع " خِيف " [٣٠]، والنعت خائفٌ وهو الفَزِعُ، والأَمر منه خَفْ بفتح الخاء، والجمع فيه على ثلاثة يقال خائف وخُيَّفٌ وخِيَّفٌ وخَوْفٌ [٣١].

الخوف اصطلاحاً:

الخوف توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، كما أن الرجاء والطمع توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة، ويضاد الخوف: الامن ويستعمل ذلك في الامور الدنيوية والأخروية [٣٢].

وعرفه ابن‌الجوزي: "إن الخوف خاصة من خواص النفس، يظهر عند المخوف. والخوف لما يستقبل والحزن لما فات " [٣٣].

وعرفه الطريحي: " الخوف، يقال خاف خوفا وخيفة بالكسر ومخافة أيضا فهو خائف إذا حذر من عدو ونحوه. والتخوف: التنقص " [٣٤].

ويعرفه المصطفوي: " حالة تأثر واضطراب، بتوقع ضرر مستقبل أو مواجهة يذهب بالأمن، فهو توقع ضرر مشكوك والظن بوقوعه، وإذا أراد التوقي منه فيقال في هذا المقام الحذر، وإذا أدام الخوف فهو الرهب، وإذا حصل الخوف وأثره مفاجأة ولم يتحمل به وانزعج قلبه فهو الفزع " [٣٥].

مدلولات الخوف:

مدلولات الخوف خمسة كما ذكرها الزبيدي هي: بمعنى الخوف كقوله تعالى: (خَوفاً وطَمَعَاً) أَي: اعْبُدُوه خَائِفِينَ عَذَابَهُ طَامِعِينَ في ثَوَابِهِ. والْخَوْفُ أَيضاً: الْقَتْلُ قِيلَ: ومِنْهُ قَوْلُه تعالَى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ والجُوعِ) هكذا فَسَّرَهُ اللِّحْيَانِيُّ. الخَوْفُ أَيضاً: الْقِتَالُ ومِنْهُ قَوْلُه تعالَى: (فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ) وكذلك قَوْلُهُ تعالَى: (وإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَو الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ) هكذا فَسَّرَه اللِّحْيانِيُّ. الخَوْفُ أَيضاً: الْعِلْمُ ومِنْهُ قَوْلُه تَعالَى: (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً) كذا قَوْلُه تعالَى: (فَمَن خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً) هكذا فَسَّرَه اللِّحْيَانِيُّ. الخَوْفُ: أَدِيمٌ أَحْمَرُ يُقَدُّ منه أَمْثَال السُّيُورِ ثم يُجْعَلُ على تِلْكَ السُّيُورِ شَذْرٌ تَلْبَسُه الجاريَةُ الثَّلاثَةُ عن كُرَاعٍ لُغَةٌ في الْحَوْف بِالْمُهْمَلَةِ وهي أَوْلَى [٣٦].

ويرى اليروزآبادي إنها دلت على خمسة أوجه وهي: " القتل، الحرب، الهزيمة، العلم والدراية، النقص، القتال، الرعب والخشية من العذاب والعقوبة " [٣٧].

الفرق بين الخشية والخوف:

الظاهر أن الفرق بين الخشية و الخوف أن الخشية تأثر القلب من إقبال الشر أو ما في حكمه، و الخوف هو التأثر عملا بمعنى الإقدام على تهيئة ما يتقى به المحذور و إن لم يتأثر القلب و لذا قال سبحانه في صفة أنبيائه: "و لا يخشون أحدا إلا الله" [٣٨].

فنفى عنهم الخشية عن غيره و قد أثبت الخوف لهم عن غيره في مواضع من كلامه كقوله: "فأوجس في نفسه خيفة موسى" طه :٦٧، و قوله: "و إما تخافن من قوم خيانة"الانفال: ٥٨، و الخشية أشد الخوف لأنها مأخوذة من قولهم: شجرة خشية أي يابسة، و كذا قول بعضهم: إن الخوف يتعلق بالمكروه و بمنزله يقال: خفت المرض و خفت زيدا بخلاف الخشية فإنها تتعلق بالمنزل دون المكروه نفسه يقال: خشيت الله [٣٩].

وقيل في الفرق بينهما: " أن الخوف فيما ظهرت أسبابه والخشية فيما لم تظهر أسبابه " [٤٠].

ويرى العلامة المصطفوي أن " الخشية بمعنى اللحاظ والمراقبة والتوجه مع الخوف: هي التي توجب التذكر والعبرة والإشفاق والخشوع، ويدل عليه الخشية في الجبل في إثر أنزال القرآن عليه فإن ملاحظة القرآن والتوجه اليه مع حالة الخوف والمراقبة إنما يحصل في نتيجة أنزال القرآن وبمناسبته، زلا يلائم معنى الخوف: حيث أثر نزول القرآن هو الملاحظة والمراقبة والإتقاء مع خوف، ومن هذا المعنى يحصل الخشوع والتصدع، لا من الخوف " [٤١].

ومما يدل على اختلاف المادتين قوله تعالى: {و يخشون ربهم و يخافون سوء الحساب} الرعد:٢١، فالعطف يدل على التغاير وهذا يدل على أن الخوف غير الخشية وإنما هيه مرتبة من مراتبه.

٢- الفزع

الفزع لغة

الفاء والزاي والعين أصلانِ صحيحان، أحدهما الذُّعر، والآخَر الإغاثة.

فأمَّا الأوَّل فالفَزَع، يقال فَزِع يَفْزَع فَزَعاً، إذا ذُعِر. وأفزَعْتُه أنا. وهذا مَفْزَعُ القوم، إذا فَزِعوا إليه فيما يَدهَمُهم. فأمَّا فَزَّعت [عنه] فمعناه كَشَّفت عنه الفَزَع. قال الله تعالى: {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ} سبأ :٢٣، والمَفْزَعة: المكان يلتجئ إليه الفَزِع. والأصل الآخر الفَزَع: الإغاثة. قال رسول الله(صلى‌الله عليه وآله) وسلم للأنصار: "إنَّكم لَتَكْثُرون عند الفَزَع، وتَقِلُّون عند الطَّمَع". يقولون: أفزَعْتُه إذ رَعَبتَه، وأفْزعتُه، إذا أغثتَه. وفَزِعتُ إليه فأفزَعَني، أي لَجأْتُ إليه فَزِعَاً فأغاثَني [٤٢].

قال الخليل الفراهيدي: " فَزِعَ فَزَعاً، أي فَرِق. وهو لنا مَفْزَعٌ، وهي لنا مَفْزَعٌ، وقوم لنا مَفْزَعٌ سواء، أي: فَزِعْنا إليهم إذا دَهَمنا أمرٌ، وهو لنا مَفْزَعَةٌ، وهي لنا مَفْزَعَةٌ وهو لنا مَفْزَعَةٌ الواحد والجمع والتأنيث سواء، أي: فَزِعنا منه، ومن أجله فرّقوا بينهما، لأن المَفْزَعَ يُفْزَعُ إليه، والمَفْزَعَةُ يُفْزَع منه " [٤٣].

وهو في الأَصل مصدرٌ فَزِعَ منه وفَزَعَ فَزَعاً وفَزْعاً وفِزْعاً وأَفْزَعه وفَزَّعَه أَخافَه ورَوَّعَه فهو فَزِعٌ، والمَفْزَعةُ بالهاء ما يُفْزَعُ منه وفُزِّعَ عنه أَي كُشِفَ عنه الخوف [٤٤].

الفزع اصطلاحاً :

عرفه الراغب: " الفزع انقباض ونفار يعترى الانسان من الشيء المخيف وهو من جنس الجزع ولا يقال فزعت من الله كما يقال خفت منه " [٤٥].

وعرفه الطريحي: " الفزع: الذعر، وهو في الأصل مصدر. والفزع يقع في القلب والسمع من صوت أو غيره " [٤٦].

وعرفه الزبيدي: " الخوف الذي يملأ الصدر والقلب " [٤٧].

وعرفه العلامة المصطفوي: " هو خوف شديد مع اضطراب ودهشة عند عروض مكروه عظيم مفاجأة"[٤٨].

إذن هو خوف شديد وانقباض يملأ الأنسان عند حدوث مكروه.

دوال الفزع:

يدل الفزع أيضاً على الرعب كقولهم: رعبته أي أخفته أو أفزعته [٤٩]، قال تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ} سبأ:٥١، وقال: {وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ} النمل:٨٧.

الفرق بين الخشية والفزع والخوف :

أما الفرق بين الخوف والفزع: أن الفزع مفاجأة ويكون في القلب والسمع أما الخوف: عند هجوم أمر وهو انزعاج القلب بتوقع مكروه عاجل [٥٠] والخشية: الخشية تأثر القلب من إقبال الشر أو ما في حكمه [٥١].

٣. الرعب

الرعب لغة :

الراء والعين والباء أصولٌ ثلاثة: أحدها الخوف، والثاني المَلْء، والآخر القَطْع.

فالأول الرَّعْب: وهو الخَوف، رَعَبْتُه رَعْباً، والاسم الرُّعْب. ويقال إنّ الرَّعْبَ رُقْيةٌ، يزعمون أنهم يرْعَبون ذا السِّحْر بكلامٍ، أي يُفْزِعونه. وفاعله راعبٌ ورَعَّاب.

والأصل الآخر قولهم: سيلٌ راعبٌ، إذا مَلأَ الواديَ. ورعَبْتُ الحوضَ إذا ملأتَه.

والثالث قولهم للشَّيء المقَطَّع: مُرَعَّب. ويقال للقِطعة من السَّنام رُعْبوبة. وتسمَّى الشَّطْبَة من النِّساء رُعبوبةً؛ تشبيهاً لها بقِطعة السنام. ويقال سَنامٌ مرعوبٌ إذا كان يقطُر دسَما [٥٢].

قال ابنمنظور: " الرُّعْبُ والرُّعُبُ الفَزَع والخَوْفُ رَعَبَه يَرْعَبُه رُعْباً ورُعُباً فهو مَرْعُوبٌ ورَعِيبٌ أَفْزَعَه ولا تَقُلْ أَرْعَبَه ورَعَّبَه تَرْعِيباً وتَرْعاباً فَرَعَب رُعْباً وارْتَعَبَ فهو مُرَعَّبٌ ومُرْتَعِبٌ أَي فَزِعٌ " [٥٣].

الرعب اصطلاحاً:

الرعب: الانقطاع من امتلاء الخوف، يقال رعبته فرعب رعبا وهو رعب والترعابة الفروق [٥٤].

وقدعّرف الطبرسي الرعب بقوله: " الرعب الخوف يقال رعبته أرعبته رعبا و رعبا و الرعب انزعاج النفس بتوقع المكروه و أصله التقطيع من قولهم رعبت السنام ترعيبا إذا قطعته مستطيلا فالرعب تقطع حال السرور بضده من انزعاج النفس بتوقع المكروه و رعب السيل فهو راعب إذا امتلأ منه الوادي لأنه انقطع إليه من كل جهة " [٥٥].

وقيل: " هو الخوف الذي يملأ الصدر والقلب " [٥٦].

وعرفه المصطفوي: " هو حلة استيلاء الخوف على القلب يسلب الأمن بالكلية " [٥٧].

{ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ} ال عمران :١٨١، وقال: {لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا} الكهف:١٨، وقال: {وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا} الاحزاب:٢٦.

أي جعلنا الخوف مستولياً على قلوبهم ولو اطلعت على اصحاب الكهف لملئت قاطبة أعضائك وجميع بدنك من رؤيتهم رعبا بحيث يستولي الخوف عليها، فظهر لطف التعبير في الآيات المباركة.

والرعب هو أشد درجات الخوف [٥٨]

٤. الرهبة

الرهبة لغة :

الراء والهاء والباء أصلان: أحدهما يدلُّ على خوفٍ، والآخَر على دِقّة وخِفَّة.

فالأوَّل الرَّهْبة: تقول رهِبْت الشيءَ رُهْباً ورَهَباً ورَهْبَة. والترهُّب: التعبُّد. ومن الباب الإرهاب، وهو قَدْع الإبل من الحوض وذِيادُها.

والأصل الآخر: الرَّهْب: الناقة المهزولة. والرِّهاب: الرِّقاق من النِّصال؛ واحدها رَهْبٌ. والرَّهاب: عظمٌ في الصَّدر مشرفٌ على البَطن مثلُ اللِّسان [٥٩].

و رَهِبْتُ الشَّيءَ أَرْهَبُهُ رَهَباً ورَهْبةً، أي: خفته. وأَرْهَبْت فلانا [٦٠].

رَهِبَ كَعَلِمَ يَرْهَبُ رَهْبَةً ورُهْباً بالضَّمِّ والفَتْحِ ورَهَباً بالتَّحْرِيكِ أَيْ أَنَّ فيهِ ثَلاَثَ لُغَاتٍ ورُهْبَاناً بالضَّمِّ ويُحَرَّكُ الأَخِيرَانِ والاسْمُ: الرُّهْبُ بالضَّمِّ والرَّهْبَى بالفَتْحِ ويُضَمُّ ويُمَدَّانِ ورَهَبُوتَى وَرَهَبُوتٌ مُحَرَّكَتَيْنِ [٦١].

الرهبة اصطلاحاً:

مخافة مع تحرز واضطرب [٦٢].

وقال الطبرسي: " الرهبة الخوف و ضدها الرغبة " [٦٣].

قال العلامة المصطفوي: " الأصل الواحد في هذه المادة هو الخوف المستمر المستديم والرهبة ضد الرغبة " [٦٤].

قال تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} الانبياء:٩٠، وهذه يدل على تقابلهما، وقال: {أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} الانفال:٦٠، أي تلقون في قلوبهم الرعب المستمر، حتى لا يتعرضوا للمسلمين [٦٥].

الفصل الثالث:

حقيقة الخشية، معناها وشروطها وفضائلها وثمارها

١. حقيقة الخشية

بعد أن عرفنا المعنى اللغوي والأصطلاحي للخشية وقلنا أن الخشية هي خوف يشوبه تعظيم، وعرفنا معنى الخشية ومواردها في هذا المبحث نريد أن نتعرف على حقيقة الخشية.

ولعل حقيقة الخشية هي ما يصيب القلب من ألم واحتراق وخوف من الله سبحانه وتعالى بسبب توقع العذاب. وفي الحقيقة إن من يخشى الله سبحانه وتعالى هو من وقف على حقيقة نفسه وما حوته من النقائص والعيوب وعرف قدر ربه وسلطانه وما يستحقه من الطاعة والعبادة.

فكلما كان العبد أكثر معرفة بالله كان أشد منه خشية لذا كان رسول الله(صلىالله عليه وآله) أكثر الناس خشية فقد روي عنه صلوات الله وسلامه عليه وآله: " أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية " [٦٦].

فالخشية من الله سبحانه و تعالى من أعلى المقامات وصفة من أسمى الصفات , بل هي شرط أساسي من شروط الإيمان قال تعالى: {فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} التوبة:١٣.

وهي خلق لا يتصف به إلا عباد الله المتقون وأولياؤه المقربون: قال الله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [٦٧] يقول المفسر الطبري: " ليس المؤمن بالذي يخالف الله ورسوله، ويترك إتباع ما أنزله إليه في كتابه من حدوده وفرائضه، والانقياد لحكمه، ولكن المؤمن هو الذي إذا ذكر الله وَجِل قلبه، وانقاد لأمره، وخضع لذكره، خوفًا منه، وفَرَقًا من عقابه " [٦٨]. وقال سبحانه وتعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} الزمر:٢٣.

بل إن البعض حصر الخشية من الله سبحانه وتعالى في العلماء فقط يقول نصير الدين الطوسي: " الخوف والخشية إنْ كانا في اللغة بمعنى واحد، إلاّ أنّ في عُرف هذه

الطائفة بينهما فرق، فإنّ الخشية مختصة بالعلماء قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} فاطر:٢٨، والجنة أيضاً مختصة بهم قال تعالى: {جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ} البينة:٨، وقال سبحانه: {مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} ق:٣٣-٣٥. والخوف منفي عنهم {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [٦٩].

وهناك الكثير من الآيات في هذا المعنى وأما الروايات فكثيرة أيضاً منها :

١. عن الامام الصادق (عليه السلام): " خف الله كأنك تراه فإنْ كنت لا تراه فإنّه يراك، وإن كنت ترى أنّه لا يراك فقد كفرت، وإنْ كنت تعلم أنّه يراك ثم استترت من المخلوقين بالمعاصي وبرزت له بها فقد جعلته في حدِّ أهون الناظرين إليك " [٧٠].

٢. عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: قال الله تعالى: " وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين، فإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة " [٧١].

٣. مرّ الحسن(عليه‌السلام) بشاب يضحك فقال: هل مررتَ على الصراط؟ قال: لا، قال: وهل تدري الى الجنة تصير أم الى النار؟ قال: لا، قال: فما هذا الضحك؟ قال: فما رؤي هذا الضاحك بعد ضاحكاً [٧٢].

٤. وروي إنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان إذا هبّت ريحٌ عاصفة يتغير وجهه ويقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج خوفاً من عذاب الله [٧٣].

٥. وروي كان (صلوات الله عليه وآله) إذا دخل في الصلاة يُسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل [٧٤].

ولنعلم أنّه كلّما زادت معرفة العبد بعظمة الخالق وجلاله صار أبصر بعيوبه، وازداد خوفهُ من ربّه فإن الله عزّ وجلّ نسَب الخوف منه وخشيته للعلماء [٧٥] روي عن رسول الله(صلىالله عليه وآله) قوله: " مَن كان بالله أعرف كان من الله أخوف " [٧٦].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: " أنا أخوَفُكُم مِنَ الله " [٧٧].

وروى الثعلبي بإسناده عن أبي اسحاق عن أبي جحيفة أنّه قيل: يا رسول الله قد أسرعَ إليك الشيبُ؟

قال صلّى الله عليه وآله: " شيّبتني هود وأخواتُها " [٧٨]

وفي حديث آخر قال صلّى الله عليه وآله: " شيّبتني هودٌ والواقعةُ والمرسلاتُ وعمّ يتساءلون" [٧٩].

وأما ما ورد من حكايات خوف المقربين من الأنبياء فهي كثيرة أن تحصى فقد روي إنّ داود(عليهالسلام) كان يقول في مناجاته: (إلهي إذا ذكرتُ خطيئتي ضاقت عليّ الأرض برحبها، وإذا ذكرتُ رحمتكَ ارْتدّتْ إليّ روحي، سبحانك إلهي أتيتُ أطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلّهم عليك يدلني، فبؤساً للقانطين من رحمتك).

وأيضاً كان(عليهالسلام) يُعاتب في كثرة البكاء فيقول: (دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق العظام واشتعال الحشا، وقبل أن يُؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون).

ويُحكى أنّ ابراهيم(عليهالسلام) كان إذا ذُكر ما صدر منه يُغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلاً في ميل، فيأتيه جبرئيل فيقول له: الجبار يقرئك السلام ويقول: هل رأيت خليلاً يخاف خليله؟ فيقول: يا جيرئيل إني إذا ذكرتُ خطيئتي نسيتُ خلّتي[٨٠] والروايات في خشوع أئمة أهل البيت أكثر من أن تحصى فقد روي أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان إذا قام إلى الصلاة تربد وجهه خوفا من الله تعالى [٨١] و عن عائشة: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه [٨٢].

وفي خشية أمير المؤمنين عليه السلام وخشوعه فقد روي أنه عليه السلام كان اذا حضره وقت الصلاة تلون و تزلزل فقيل له: مالك؟ فيقول: جاء وقت امانة عرضها الله تعالى على السماوات و الارض و الجبال فأبين ان يحملنها و حملها الأنسان [٨٣].

وكان أمير المؤمنين(عليهالسلام) إذا أخذ في الوضوء يتغير وجهه من خيفة الله تعالى [٨٤]. و كان إذا دخل الصلاة كان كأنه بناء ثابت أو عمود قائم لا يتحرك، وكان ربما ركع أو سجد فيقع الطير عليه، ولم يطق أحد أن يحكي صلاة رسول الله إلا علي ابنأبي طالب وعليبنالحسين(عليهماالسلام) [٨٥].

وكانت فاطمة(عليهاالسلام) تنهج في الصلاة من خيفة الله تعالى [٨٦]، وفي حديث رسول الله(صلىالله عليه وآله) في الظلم الذي يقع على اهل البيت عليهمالسلام: أما ابنتي فاطمة فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين . إلى أن قال: . متى قامت في محرابها بين يدي ربها جل جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عز وجل لملائكته: يا ملائكتي انظروا إلى امتي فاطمة سيدة

إمائي قائمة بين يدي، ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، اشهدكم أني قد أمنت شيعتها من النار [٨٧].

وفي خشوع الإمام الحسن(عليه‌السلام) ورد إن الحسن‌بن‌علي(عليهماالسلام) كان إذا قام في صلاته ترتعد فرائصه بين يدي ربه عزوجل، وكان إذا ذكر الجنة والنار اضطرب اضطراب السليم [٨٨]،

وفي خشوع الإمام الحسين سيد الشهداء(عليه‌السلام) إذا فرغ من وضوئه تتغير لونه، فقيل له في ذلك، فقال: حق على من أراد أن يدخل على ذي العرش أن تتغير لونه [٨٩].

وفي خشوع الإمام علي‌بن‌الحسين(عليهماالسلام) روي أنه كان(عليه‌السلام) إذا شرع في طهارة الصلوات اصفر وجهه وظهر عليه الخوف [٩٠] و كان(عليه‌السلام) إذا توضأ للصلاة وأخذ في الدخول فيها اصفر وجهه وتغير لونه، فقيل له مرة في ذلك، فقال: إني اريد الوقوف بين يدي ملك عظيم [٩١]، وورد عنه عليه السلام أنّه كان يصلّي ذات يوم، فسقط الرداء عن أحد منكبيه، فلم يسوّه حتّى فرغ من صلاته، فسأله بعض أصحابه عن ذلك فقال: ويحك أتدري بين يدي من كنت؟، أنّ العبد لا يقبل من صلاته إلاّ ما أقبل عليه منها بقلبه، فقال الرجل: هلكنا، فقال: كلاّ إنّ الله عز وجل متمّم ذلك بالنوافل [٩٢].

وفي خشوع الإمامين الصادقين روي أن أبا جعفر(عليه‌السلام) صلى ذات يوم فوقع على رأسه شيء فلم ينزعه من رأسه حتى قام إليه جعفر فنزعه من رأسه، تعظيما لله وإقبالا على صلاته، وهو قول الله: (أقم وجهك للدين حنيفا) [٩٣] وروي أن مولانا جعفربن‌محمد الصادق(عليهماالسلام) كان يتلو القرآن في صلاته فغشى عليه، فلما أفاق سئل ما الذي أوجب ما انتهت حالك إليه؟ فقال: ما زلت اكرر آيات القرآن حتى

بلغت إلى حال كأنني سمعتها مشافهة ممن أنزلها [٩٤] و كان أبوجعفر وأبوعبد الله(عليهماالسلام) إذا قاما إلى الصلاة تغيرت ألوانهما حمرة ومرة صفرة، وكأنما يناجيان شيئا يريانه [٩٥].

واما في حياة الامام الكاظم (عليه السلام)

في يوم من الايام ارسل هارن أمة جميلة جدا_تشبةالقمر _بعنوان انها خادمة للامام (عليه السلام)،وكان القصد التشهبر به فيما اذا ابدى رغبته فيها .

وعندما جاءوا بها اليه قال لمن جاء بتلك الشابة :انكم تهتمون بمثل هذة الهدايا وتفتخرون بها ،الا اني لا حاجة لي بهذة الهدايا وامثالها لان الامام الكاظم (علية السلام)يخشى الله سبحانه وتعالى.

هذا حال خير خلق الله ومن يجب أن نقتدي بهم لذا على الأنسان أن يخشى الله . ويتنبّه على عظمته وجلاله، ويتفكّر دائما في أحوال يوم الحساب، ويتذكّر أنواع العذاب ويتصوّر الموت وصعوبة عالم البرزخ ومؤاخذة يوم القيامة.

ولقد عاب الله على بني إسرائيل ووبخهم على قساوة قلوبهم وعدم خشيتهم منه سبحانه فقال: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} البقرة:٧٤.

وضرب لنا مثلا طيبا في خشية من أطاع الله عند سماع آياته فقال: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} الحشر:٢١.

فالخشية من الله سبحانه هي ميزان الأعمال وزينتها وهي ثمرة أعمال الأنسان وإيمانه بربه ويقينه فكلما صفا إيمان الفرد وعلا يقينه ازداد خوفه من الله وخشيته منه وبان أثر ذلك على قلبه ولعل السر في ذلك إن الإيمان بالله سبحانه يجعل الإنسان مؤمناً بثواب الله وعقابه وعلى تذكر الآخرة وأهوالها فيعيش العبد بين الرجاء والخوف الرجاء في الجنة ونعيمها والخوف من النار وزفيرها فيرى نفسه مقصراً في حق الله سبحانه وتعالى ومفرطاً في طاعته فيغلب عليه طابع الحزن والخوف والخشية من الله سبحانه فلا تراه إلا وجلا خائفا يرجو رحمة ربه ويخاف عقابه وكيف لا يخشى وهو يقرأ أمر ربه لعباده: {اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} البقرة:٤٠. وقوله: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} ال عمران :٢٨، ويقرأ بعضاً من أهوال القيامة التي ذكرها سبحانه في كتابه: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ * وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ * يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} هود:١٠٢-١٠٧.

فحقيقة الخشية هي أن يجتنب العبد ما يوجب سخط مولاه وغضبه، ويفعل ما أمر به من الطاعات، والمسارعة الى فعل الخيرات والاجتهاد في عبادته، والتوكل عليه، ويتجنب نواهيه فالخشية من الله توجب ترك المعاصي والشهوات وتجعل العبد دائم المراقبة لنفسه ومحاسبتها ومجاهدتها.

٢.٣. فضل الخشية

فضل الخشية من الله تعالى عظيم ومكانتها عالية فقد وصف الله سبحانه بها عباده المؤمنين فقال: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} فاطر:١٨، وقال {إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} المؤمنون:٥٧-٦١.

لقد ضرب رسول الله(صلى‌الله عليه وآله) أروع مثال في الخشية من الله سبحانه وتعالى فقد كان من خشيته(صلى‌الله عليه وآله) وسلم استشعاره لعظمة الله ورهبته منه فعَنْ مُطَرِّفِبن‌عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يُصَلِّي وَلِصَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ ٩٦، بل كان يسأل الله تعالى الخشية , فعَن قَيْسِبن‌عُبَادٍ، قَالَ: صَلَّى بِنَا عَمَّارٌ صَلاَةً، كَأَنَّهُمْ أَنْكَرُوهَا , فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: أَلَمْ أُتِمَّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ؟ قَالُوا: بَلَى , قَالَ: فَإِنِّي قَدْ دَعَوْت اللهَ بِدُعَاءٍ سَمِعْته مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم:اللَّهُمَّ بِعِلْمِك الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِك عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي , وَتَوَفَّنِي إذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي , اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُك كَلِمَةَ الإِخْلاَصِ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَى، وَالْقَصْدَ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ , وَخَشْيَتَك فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ , وَأَسْأَلُك الرِّضَا بِالْقَدَرِ , وَأَسْأَلُك نَعِيمًا لاَ يَنْفَدُ , وَقُرَّةَ عَيْنٍ لاَ تَنْقَطِعُ , وَلَذَّةَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ , وَلَذَّةَ النَّظَرِ إلَى وَجْهِك , وَشَوْقًا إلَى لِقَائِك , وَأَعُوذُ بِك مِنْ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ , وَفِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ , اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ [٩٧].

٣.٣. مظاهر الخشية

إن من يخشى الله حق خشيته ويتقيه حق تقاته لا بد وإن تظهر علامات ذلك على حاله وأفعاله وجوارحه، فيكون دائم الخشوع والتضرع له سبحانه وتعالى ومن مظاهر الخشية:

أولاً : الإشفاق من الله سبحانه

الإشفاق نظير الخوف والخشية، و من قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ *}المؤمنون:٥٧-٦١ ،يظهر أنّ الإشفاق نتيجة الخشية أو الخوف؛ إذ عبّرت بتعبير: من خشية ربّهم مشفقون فكأنّ الإشفاق يتولّد من الخشية، والظاهر: أن المقصود بالخشية: الخوف وحده أو الخوف مع التعظيم والإجلال والاحترام والإكبار، ولكنّ الإشفاق مأخوذ من الشفقة، ففيه معنى الترحم والعطف والحنان، أو التزلزل والاضطراب وذلك من قبيل الإشفاق على الطفل، فالإنسان المؤمن يصبح نتيجة الخشية من اللَّه في حالة الإشفاق على نفسه والاضطراب المشوب بالشفقة والرأفة على نفسه [٩٨].

والملاحظ أن القرآن الكريم نسب الإشفاق الى الملائكة أيضاً رغم ما نعلم به من يقين راسخ من أنّهم مجردون عن الهوى، فلا يرتكبون المعصية، قال تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} الانبياء:٢٦-٢٨.

والإشفاق في عامّة الناس إشفاق من العذاب، وإشفاق على النفس من الانحراف، وعلى العمل من الحبط والضياع.

وهنا إشفاق للخواصّ، وهو: الإشفاق على قلبه عن الحضور مع الحقّ ودخول العوارض في قلبه التي تبعده عن الالتفات إلى المحبوب جلّ وعلا. ولكن لا بمعنى أنّ الإشفاق الأوّل غير موجود فيهم، بل هو موجود زائداً الإشفاق الأعلى. ويدلّنا على وجود الإشفاق الأوّل أيضاً في أولياء اللّه والمقرّبين قوله سبحانه وتعالى في وصفهم: {إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ} المعارج٢٢:- ٢٨، إنّ عذاب ربّهم غير مأمون.

فهذا إمّا أن يشمل المعصومين عليهم السلام بمعنى: أنّهم يخشون السقوط عن مقام العصمة، وأنّ عصمتهم التي ستبقى أبدا تكون في طول هذه الخشية والإشفاق، أو يشمل . في الأقلّ . جميع غير المعصومين مهما بلغوا من درجات القرب والكمال [٩٩].

ثانياً: الخشوع لله

الخشوع: هو الخوف الدائم اللازم للقلب. وهو أيضاً قيام العبد بين يدي الله بهمٍّ مجموع وقلب مروع والإنسان الخاشع هو من خمدت نيران شهوته وأشرق نور عظمة الله في قلبه، فمات أمله وواجه أجله فحينئذ خشعت جوارحه وسالت عبرته وعظمت حسرته والخشوع يذلل البدن والقلب لعلام الغيوب [١٠٠].

وحقيقة الخشوع عبارة عن الخضوع التام الممزوج بالحب أو الخوف وهو يحصل من إدراك عظمة الجلال والجمال وسطوتهما وهيبتهما [١٠١].

قال تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} الحديد:١٦، قد فُسِّرَ الخشوع بمعنى الخضوع الممزوج إمّا بالمحبّة التي توجب انكسار النفس هيبة للمحبوب المتعالي في العظمة، أو بالخوف ممّن له سطوة تُخشى ونقمة تتّقى.

ولهذا ورد في بعض أدعية السحر لشهر رمضان المبارك: (اللَّهمّ إنّي أسألك خشوع الإيمان قبل خشوع الذلّ في النار...). فالإيمان يوجب الخشوع بكلا شكليه المشار إليهما، في حين أن النار . أعاذنا اللَّه منها . توجب الخشوع بشكله الثاني [١٠٢].

وقال سبحانه وتعالى: قال تعالى :

{ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون} المؤمنون:١-٢،فجعل الخشوع في الصلاة من حدود الإيمان وعلائمه. فكل من لم يكن خاشعا في الصلاة فهو خارج عن زمرة أهل الإيمان طبقا لما قاله الذات المقدسة الحق تعالى شأنه. قال الصادق عليه السلام " إذا دخلت في صلاتك فعليك بالتخشّع والإقبال على صلاتك فإن الله تعالى يقول: " الذين هم في صلاتهم خاشعون ".

قال المحقق الكاشاني: إن الخشوع في الصلاة على قسمين

الأول: الخشوع القلبي وهو أن يكون تمام همّته في الصلاة ومعرضا عما سواها بحيث لا يكون في قلبه سوى المحبوب.

والثاني: الخشوع في الجوارح وهو يحصل بأن يغمض عينيه ولا يلتفت إلى الجوانب ولا يلعب بأعضائه...

وبالجملة لا تصدر منه حركة سوى الحركات الصلاتية، ولا يأتي بشي من المكروهات [١٠٣].

إن حقيقة الخشوع عبارة عن حالة قلبية تحصل للقلب من إدراك الجلال والجمال، وبمقدار ما يدرك القلب منهما تزول عنه الإنّيّة والأنانية فيخضع ويسلّم لصاحب الجلال والجمال وبهذه العناية نسب الخشوع إلى الأرض والجبال، فإن الأرض مسلّمة للعوامل الطبيعية وليس لها إرادة في إنبات النبات، بل هي تسليم محض، قال تعالى: {ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت} فصلت: ٣٩.، وهكذا الجبل بالنسبة إلى نزول القرآن فإن أنيّة الجبل تندكّ ولا يمكنه المقاومة، قال تعالى: {ولو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدّعا من خشية الله} الحشر: ٢١.

لذا على الإنسان أن يعلم إنه أمام خالق عظيم بيده كل شيء ولا يخفى عليه شيء بيده الثواب والعقاب وهو مطلع على ما في قلبه فيكون قلبه وجوارحه كلها متوجهة لله سبحانه وتعالى [١٠٤].

ثالثاً: الرجاء والخوف

هما من الأوصاف القلبية والصفات النفسية، ووجودهما في الإنسان من ذاتياته وفطرياته، ولا يوجد إنسان لم يكونا فيه ولو بالنسبة إلى بعض الأمور ويختلفان بالقياس إلى الأشخاص وإلى المتعلقات في الشدة والضعف اختلافاً كثيراً.

والمراد بالخوف في المقام: الخوف من الله تعالى من مقام ذاته، ومن غضبه وسخطه، ومن عذابه في الدنيا وعقابه وناره في الآخرة. وبالرجاء: الرجاء منه تعالى، رجاء رحمته وقربه وإحسانه في الدنيا ونعمه ورضاه وجنته في الآخرة وهذان هما اللذان يمكن أن لا

يوجدا في الإنسان أو يوجدا قليلاً، وهما اللذان يجب عقلاً ونقلاً . تحصيلها بالتفكر في عظمته وقدرته، والتأمل في أخذه للطاغين والعاصين وبطشه، وما صنعه تعالى بالكفار والمنافقين والمستكبرين من الأمم الماضية من الإهلاك بالطوفان والغرق والصاعقة والرجفة والصيحة والخسف ثم إن الوصفين حالتان تعرضان على النفس كثيراً ما تكونان متلازمتين، بل يجب أن يكونا كذلك بالنسبة لمقام رب العالمين، بحيث لو حصل للأنسان خوف منه تعالى بلا رجاء أو رجاء بلا خوف كان مما ورد النهي عنه وعبر عنهما: باليأس من روح الله والأمن من مكر الله، بل اللازم وجودهما وتساويهما بحيث لو وزنا لم يتراجحا [١٠٥].

وسبب الخوف المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به وانه لو أهلك الاولين والآخرين لم تنقص من ملكه ذرة، هذا مع مطالعة ما يجري على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع، فكلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة.

وأما الرجاء فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم انعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلاة، فإذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعها الرجاء لا محالة. وأما الحياء فباستشعار التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة إخلاصها وخبث داخلها وميلها إلى الحظ العاجل في جميع أفعاله مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله، والعلم بأنه مطّلع على السريرة وخطرات القلب، وان دقّت وخفيت، وهذه المعارف إذا حصلت يقينا أنبعث منها بالضرورة تسمّى الحياء [١٠٦].

والخوف والرجاء اللذان يطير بهما المؤمن الى آفاق طاعة اللّه، والفوز بشرف رضاه، وكرم نعمائه، إذ هو باعث على الطاعة رغبةً كما يبعث الخوف عليها رهبة وفزعاً [١٠٧].

وقد نهانا الله عن اليأس والقنوط فقال: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} الزمر:٥٣، وقال: {وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} يوسف :٨٧.

ومما يجدر ذكره أن الرجاء لا يجدي ولا يثمر، الا بعد توفر الأسباب الباعثة على نجحه، وتحقيق أهدافه، والا كان هوساً وغروراً، فمن الحماقة أن يتنكّب المرء مناهج الطاعة، ويتعسف طرق الغواية والضلال، ثم يُمنّي نفسه بالرجاء، فذلك غرور باطل وخُداع مغرّر [١٠٨].

فلا قيمة للرجاء، الا بعد توفر وسائل الطاعة، والعمل للّه تعالى، كما قال الامام الصادق عليه السلام: " لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو " [١٠٩].

فالناس مختلفون في طباعهم وسلوكهم اختلافاً كبيراً، فمن الحكمة في إرشادهم وتوجيههم، رعاية ما هو الأجدر بإصلاحهم من الترجّي والتخويف فمنهم من يصلحه الرجاء، وهم: العصاة النادمون على ما فرّطوا في الآثام، فحاولوا التوبة الى اللّه، بيد أنهم قنطوا من عفو اللّه وغفرانه، لفداحة جرائمهم، وكثرة سيئاتهم، فيعالج والحالة هذه قنوطهم بالرجاء بعظيم لطف اللّه، وسعة رحمته وغفرانه.

أما الذين يصلحهم الخوف: فهم المردة العصاة، المنغمسون في الآثام، والمغترّون بالرجاء، فعلاجهم بالتخويف والزجر العنيف، بما يتهددهم من العقاب الأليم، والعذاب المُهين [١١٠].

وقد وصف الله سبحانه عباده المطيعين له بهذين الصفتين بقوله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} الاسراء:٥٧.

الخاتمة :

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على النبي الموصوف بأجل الخصال، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

فعند شروع الإنسان في إنجاز عمل ما، يشعر بكثير من التعب والعناء، ولكنه بمجرد انتهائه منه يشعر بسعادة غامرة، حينما يرى ثمار جهده ونتاج عمله. وعند شروعي في بحث هذا الموضوع وإنجازه شعرت بعظم المهمة وصعوبة المقصود؛ نظراً لتشعب الموضوع وتعدد مظانه وشموله.

وقد توصل البحث الى عدة نتائج منها:

١. تعددت دوال الخشية، وذكرت في عدة ألفاظ كال (الخوف، الخشية، الرهبة، الرعب، الوجل، الوجف، الهرع، الفزع) وكانت أكثرهم عدداً هي دالة الخوف (١١٢) في مئة واثنتا عشر موضعاً، ومن ثم الخشية(٤٠) أربعون موضعاً، ومن ثم الرهبة (١٠)عشر مواضع أما باقي الدوال فكانت متعددة وقليلة.

٢. تعدد جميع الأساليب اللغوية والإنشائية، كما وتعد هذه الدوال جامعة لصفات الخوف وأثرها في نفس القارئ.

٣. جمعت الآيات في طياتها ألوان المعاني والبيان والبديع.

وغيرها من النتائج كما أوصي الباحثين أن تتوجه عنايتهم الى دراسة دوال القرآن ومدلولاتها لما لها من اهمية كبيرة هذا والحمد لله أولا وآخرا.

الهوامش

[١]. الطبرسي، **مكارم الأخلاق**، ص ٣٢١

[٢]. الخليلبنأحمد الفراهيدي، **العين**، ج٤، ص ٣٢٨

[٣]. ابنفارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٢، ص ١٨٤

[٤]. أبو هلال العسكري، **الفروق اللغوية**، ج ١، ص ٢١٨

[٥]. الآلوسي، **روح المعاني**، ج ٩، ص ٢٥٢

[٦]. أبو هلال العسكري، **الفروق اللغوية**، ج١، ص ١١٥

[٧]. أبو هلال العسكري، **الفروق اللغوية**، ج ١، ص ٧٩

[٨]. الراغب الأصفهاني، **المفردات**، ص ٢٨٣

[٩]. المصطفوي، **التحقيق في كلمات القرآن الكريم**، ج٣، ص ٧٣

[١٠]. الخليلبنأحمد الفراهيدي، **العين**، ج١، ص ٣٢٨

[١١]. ابنفارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٢، ص ١٨٤

[١٢]. الصاحببنعباد، **الحيط في اللغة**، ج ١، ص ٣٦٨

[١٣]. ابنسيدة، **المحكم والمحيط الأعظم**، ج٢، ص ٣٥١

[١٤]. الجوهري، **الصحاح**، ج١، ص ١٧٣

[١٥]. الجوهري، **الصحاح**، ج١، ص ١٧٣

[١٦]. الجرجاني، **التعريفات**، ص ١٠٣

[١٧]. فخر الدين الطريحي، **مجمع البحرين**، ج ١، ص ١٢٢

[١٨]. جميل صلبيا، **المعجم الفلسفي**، ج ١، ص ٥٢٨

[١٩]. أبو هلال العسكري، **الفروق اللغوية**، ج ١، ص ٢١٨

[٢٠]. المصطفوي، **التحقيق في كلمات القرآن الكريم**، ج ٣، ص ٧٣

[٢١]. السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ج١، ص ٥٥

[٢٢]. السابق

[٢٣]. الواحدي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج١، ص ٤٥

[٢٤]. الواحدي، الوجيز، ج١، ص١٢١

[٢٥]. ، الزركشي، **البرهان**، ج ١، ص ١٠٢

[٢٦]. السيوطي، **الإتقان**، ج ١٦٤

[٢٧]. المصطفوي، **التحقيق في كلمات القرآن الكريم**، المقدمة

[٢٨]. ابنفارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج ٢، ص ٢٣٠

[٢٩]. الخليلبناحمد الفراهيدي، **العين**، ج ١، ص ٣٣٤

[٣٠]. الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، ج٢، ص ٣٢٤

[٣١]. ابنمنظور، **لسان العرب**، ج ٩، ص ٩٩

[٣٢]. الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ج١، ص ١٦١

[٣٣]. ابنالجوزي، **منتخب قرة عيون النواظر في الوجوه والنواظر في القرآن الكريم**، ص ١٠٥

[٣٤]. الطريحي، **مجمع البحرين**، ج١، ص ١٤٨

[٣٥]. المصطفوي **التحقيق في كلمات القرآن الكريم**، ج ٣، ص ١٦١

[٣٦]. الزبيدي، **تاج العروس**، ج١، ص ٥٤١

[٣٧]. الفيروزآبادي، **بصائر ذوي التميز**، ج٢، ص ٥٧٨

[٣٨]. الأحزاب/ ٣٩

[٣٩]. الطباطبائي، **الميزان**، ج ١١، ص ١٨٢

[٤٠]. الماوردي، **النكت والعيون**، ج ٣، ص ٤٠

[٤١]. المصطفوي، **التحقيق في كلمات القرآن الكريم**، ج ٣، ص ٧٤

[٤٢]. ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج ٤، ص ٥٠١

[٤٣]. الخليلبنأحمد الفراهيدي، **العين**، ج ١، ص ٨٤

[٤٤]. ابنمنظور، **لسان العرب**، ج ٨، ص ٢٥١

[٤٥]. الراغب الأصفهاني، **المفردات**، ج١، ص ٣٧٩

[٤٦]. الطريحي، **مجمع البحرين**، ج ٤، ص ٢٠٥

[٤٧]. الزبيدي، **تاج العروس**، ج ٢، ص ٥٠٤

[٤٨]. المصطفوي، **التحقيق في كلمات القرآن الكريم**، ج ٩، ص ٨٩

[٤٩]. الراغب الأصفهاني، **المفردات**، ج ١، ص٢٠٣

[٥٠]. المصطفوي، **التحقيق في كلمات القرآن الكريم**، ج ٣، ص ١٦١

[٥١]. الطباطبائي، **الميزان**، ج ١١، ص ١٨٢

[٥٢]. ابنفارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج ٢، ص ٢٠٥

[٥٣]. ابنمنظور، **لسان العرب**، ج ١، ص٤٩٠

[٥٤]. الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ج١، ص ١٩٧

[٥٥]. الطبرسي، **مجمع البيان**، ج٤، ص ٣٨٢

[٥٦]. الزبيدي، **تاج العروس**، ج١، ص ٥٢٧

[٥٧]. المصطفوي، **التحقيق في كلمات القرآن الكريم**، ج ٣، ص ١٦٧

[٥٨]. الزبيدي، **تاج العروس**، ج١، ص ٥٢٧

[٥٩]. ابنفارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج ٢، ص ٣٧٠

[٦٠]. الخليل الفراهيدي، **العين**، ج ١، ص ٢٧٠

[٦١]. ابنمنظور، **لسن العرب**، ج١، ص ٤٣٦

[٦٢]. الراغب الأصفهاني، **المفردات**، ج ١، ص ٢٠٩

[٦٣]. الطبرسي، **مجمع البيان**، ج١، ص ١٦٩

[٦٤]. المصطفوي، **التحقيق في كلمات القرآن الكريم**، ج٤، ص ٢٥٤

[٦٥]. المصطفوي، **التحقيق في كلمات القرآن الكريم**، ج٤، ص ٢٥٤

[٦٦٦٦]. البخاري، **صحيح البخاري**، ج ٤، ص ٣٩٢

[٦٧]. الأنفال/ ٢

[٦٨]. الطبري، **جامع البيان**، ج ١٣، ص ٣٨٥

[٦٩]. الطوسي، **أوصاف الأشراف**، ص ٦٤ والآية في سورة يونس/ ٦٢

[٧٠]. الصدوق، **ثواب الأعمال**، ص ١٧٦

[٧١]. ابنفتال، **روضة الواعضين**، ج ٢، ص ٤٥١

[٧٢]. الطبرسي، **مجمع البيان**، ج ٣، ص ٥٢٦

[٧٣]. عبد الله شبر، **الأخلاق**، ص ٢٨٤

[٧٤]. السابق

[٧٥]. كاظم الحسيني الحائري، **تزكية النفس**، ص ١٨٢

[٧٦]. عبد الله شبر، **الأخلاق**، ص ٢٨٥

[٧٧]. النراقي، **جامع السعادات**، ج١، ص ٢١٨

[٧٨]. الحويزي، **نور الثقلين**، ج ٣، ص ٢١٣

[٧٩]. الصدوق، **الخصال**، ج ١، ص ١٩٩

[٨٠]. عبد الله شبر، **الأخلاق**، ص ٢٨٥

[٨١]. ابن‌طاوس، **فلاح السائل**، ص ١٦١

[٨٢]. المجلسي، **بحار الأنوار**، ج ٨٤، ص ٢٥٨

[٨٣]. ابن‌شهرآشوب، **مناقب آل أبي طالب**، ج ١، ص ٣٥٤

[٨٤]. المجلسي، **بحار الأنوار**، ج ٤١، ص ١٧

[٨٥]. السابق

[٨٦]. السابق، ج ٧٠، ص ٢٠٧

[٨٧]. المجلسي، **بحار الأنوار**، ج ٧٢، ص ١٧٢

[٨٨]. السابق، ج ٨٤، ص ٢٥٨

[٨٩]. السابق، ج ٨٠، ص ٣٤٦

[٩٠]. ابن‌طاوس، **فلاح السائل**، ص ٥١

[٩١]. القاضي النعمان المغربي، **دعائم الإسلام**، ج١، ص ١٥٨

[٩٢]. النوري، **مستدرك الوسائل**، ج١، ص ١٧٤

[٩٣]. المجلسي، **بحار الأنوار**، ج ٨٤، ص ٢٥٢

[٩٤]. ابن‌طاوس، **فلاح السائل**، ص ١٠٧

[٩٥]. الصدوق، **الخصال**، ص ٦٢٠

[٩٦]. أحمدبن‌حنبل، **مسند أحمد**، ج٤، ص ٢٥

[٩٧]. النسائي، **سنن النسائي**، ج ٣، ص ٥٥

[٩٨]. كاظم الحسيني، الحائري، **تزكية النفس**، ص ٢٣٤

[٩٩]. كاظم الحائري، ص ٢٣٥

[١٠٠]. عبد الله الهاشمي، **الأخلاق والآداب الإسلامية**، ص، ٥٠١

[١٠١]. روح الله الخميني، **الآداب المعنوية للصلاة**، ص ٤٧

[١٠٢]. كاظم الحائري، **تزكية النفس**، ص ٢٣٤

[١٠٣]. الكاشاني، **المحجة البيضاء**، ج٤، ص ١٢٥

[١٠٤]. عبد الله الهاشمي، **الأخلاق والآداب الإسلامية**، ص، ٥٠١

[١٠٥]. المشكيني، **دروس في الأخلاق**، ص ٨٠

[١٠٦]. روح الله الخميني، **الآداب المعنوية للصلاة**، ص ٨٨

[١٠٧]. السيد مهدي الصدر، **أخلاق أهل البيت**، ص ١٨٤

[١٠٨]. السيد مهدي الصدر، **أخلاق أهل البيت**، ص ١٨٤

[١٠٩]. الكليني، **الكافي**، ج ٢، ص ٢١٥

[١١٠]. السيد مهدي الصدر، **أخلاق أهل البيت**، ص ١٨٦